**المحاضرة الثانية:**

**تمهيد :**

**بما ان الاصل في النهضة ان تدل على يقظة ووعي وتدل على حركة وفعل وان هذا ممّا يتجسّد عموما بالسعي الى الخروج من وضع الى وضع والانتقال من حال الى حال هو الحال الافضل فإن السؤال الذي يطرح نفسه عندئذ هو ماذا كان جوهر الخطاب الثقافي العربي وهو يواجه واقعه المتردي في القرن التاسع عشر ؟ وماذا كانت انشغالاته وقضاياه حينئذ؟**

**ان مايساعد في الواقع على الاجابة عن السؤالين المطروحين اعلاه مقولة كان قد ذكرها الشيخ حسن العطار وفحوى هذه المقولة مايلي: (ان بلادنا لابد ان تتغير احوالها ويتجدد فيها من المعارف ماليس فيها) (الخطط التوفيقية علي مبارك ص38) والحق ان الشيخ العطار عندما يقول هذا الكلام فلأنه ادرك الفارق بين ماوصل اليه الاروبيون من تقدم وما اضحى عليه المصريون والعرب من انحطاط وتخلف وهو الذي وقف على الصورة الحضارية لحملة نابليون على مصر . عندما اتيحت له الفرصة للتعرف عليها فقد ذكر انه عندما تعرف على علماء تلك الحملة تعرف على الات فلكية وهندسية وتعرف على كتب رياضية وادبية لهم بما يعني انها لم تكن موجودة ومعروفة للدارسين آنئذ ويشير علي مبارك في خططه بوصف في غاية الدلالة أن ذلك الوجه من التقدم كان يثير لديه الاعجاب الكبير الاعجاب بما وصلت اليه الامة الفرنساوية والاعجاب بقيمة تلك العلوم والمعارف.**

**واذا كان ماينكشف من كلام الشيخ العطار هذه الأمور الثلاثة وهي :**

**ضرورة التغيير وضرورة الإهتمام بالعلوم الجديدة ووجود الاعجاب والدهشة مما وصل اليه الفرنساوية فإن هذه الامور مما تدل على قضية بل على هاجس وهذا الهاجس ليس في المحصلة الاّ هاجس التقدم . والواقع انّ مايعزز من اهمية هذا الهاجس انه الهاجس الذي طبع تاريخ النهضة العربية بعد الشيخ العطار الذي لم يكن كما يوصف الا منبها وحاثا عليه سواء بتاثيره على محمد علي او تلميذه رفاعة الطهطاوي ( الشيخ حسن العطار ص76)**

**مركزية سؤال التقدم في فكر النهضة :**

**يظهر هذا السؤال منذ الانطلاقة الاولى للنهضة فقد تجسد عمليا بما دشنه محمد علي من اهتمام بالمعارف والعلوم الحديثة وانشاء للمدارس وابتعاث للطلاب الى الخارج و تغيير في الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية واستقدام للأجانب للاستفادة من خبراتهم وتجسد فكريا بما ظهر من اهتمام وتامل في حال الامة من تخلف وانحطاط لقد كان هذا من طرف الشيخ العطار في اول الامر و كان ايضا وبشكل بارز من طرف تلميذه رفاعة الطهطاوي . فمما يذكره استاذه الفرنسي الاستاذ جومار أن الشيخ رفاعة قد ابدى اسفه لما راى بلده ادنى من بلاد اروبا في العلوم البشرية والعلوم النافعة وانه قد اراد بكتاباته ان يوقظ فيهم محبة تعلم التمدن الافرنجي(اسس التقدم 118) وهذه الرغبة التي ظهرت مبكرا في تجربة محمد علي وهذين العلمين هي ماترددت لاحقا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في السؤال الملح سؤال لماذا تأخر المسلمون وتقدم الاروبيون؟ وكما يقول احد الدارسين هو السؤال الذي قد مثل مشتركا جامعا بين اصلاحي المشرق والمغرب أي سواء عند الطهطاوي او محمد عبده او الافغاني من المشارقة او خير الدين او ابن ابي الضياف من المغاربة (الاتحاف في نشاة الوعي الاصلاحي في القرن التاسع عشر عز الدين العبيدي ع211 س2011) وهذا مايمكن ادراكه في الحقيقة واضحا من هذه الصيغ كصيغة سؤال سليم البستاني لماذا نحن في تأخر؟ وصيغة سؤال عبد الله النديم بما تقدمووا وتأخرنا؟ او الصيغة المشهورة سؤال شكيب ارسلان لماذا تقدم الغرب وتخلف الشرق؟ ( الحرية والتمدن في فكر فرانسيس المراش الحياة الثقافية ع232 س2012ص50)ولما كان هذا يستدعي التعرف على ما يحيل اليه هذا السؤال او صيغه من المهم التوقف عندئذ على ماكان يعنيه مفهوم النهضة**

**مفهوم النهضة: مايعبر عن كلمة النهضة في تلك المرحلة كلمات بذاتها ككلمة التمدن وكلمة الترقي وكلمات اخرى كالتقدم والتنبه ولكن بوجه خاص فان اكثر ما اقترنت به كلمة النهضة انذاك هي كلمة التمدن وقد ظهرت بخصوص هذه الكلمة عدة اراء لاتخرج في دلالتها عن تقدير مفهوم التمدن بالجانب المعنوي والمادي. واذا ضربنا لذلك امثلة فاننا نجد ان الشيخ بطرس البستاني يضع تلك الكلمة في مقابل التوعر اوالتوحش أي في مقابل انها طور من التقدم الفردي والاجتماعي يجتمع فيه الخلق والعلم والعادات الاجتماعية الراقية(ماجد فخري الحركات الفكرية وروادها اللبنانيون في عصر النهضة ص 26،25) ولايختلف هذا عن مايذهب اليه الشيخ رفاعة الطهطاوي فبالنسبة اليه كذلك فالتمدن هو تهذيب اخلاقي بالاداب الدينية والفضائل الانسانية وهو الى جانب ذلك تعميم للمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال( الطهطاوي الاعمال الكاملة 1، ص308،309) وكذلك هو راي فارس الشدياق الذي يراه جانب العلوم والمعارف والفنون وجانب الصنائع والحرف وجانب التادب والتظرف والتكيس والبشاشة (قراءة في خطاب عصر النهضة، ص14 مجلة الكرمل) وهذا في الواقع قد كان قاسما مشتركا بين رواد النهضة العربية مسلمين ومسيحيين لكن الامر لم يتوقف عند هذا الحد اذ يمكن ملاحظة ان مفهوم التمدن عند الجانبين قد اقترن ايضا بدور الدين فبطرس البستاني يجعل من مقومات التمدن الصحيح التمسك بالدين المنزل الخالي من الشوائب(ماجد فخري ص26) والامر نفسه عند الطهطاوي الذي يؤكد على اهمية الشرع في بنية التمدن. والحق ان التمدن قد اخذ مفهوما واسعا متجاوزا الجانب الفردي والاجتماعي الى الجانب السياسي ومايعنيه ممن حسن ادارة ومعاملة(ماجد فخريي ص26، 27). و يمكن اختصار هذه الرؤية اجمالا في العناصر التالية:**

**ـ ان التمدن هو جانب مادي ومعنوي**

**ـ ان التمدن ليس مستقلا عن الدين بل هو مقووم اساسي فيه**

**ـ ان التمدن هو حكم سياسي رشيد**

**ـ ان التمدن هو تعايش مدني**

**ومن المناسب القول ان الرواد النهضويين قد كانوا منتبهين الى سلبية التمدن الزائف الناتج عن مجرد التقليد ولهذا فهم عندما ابانوا عن تلك الرؤية قد فرقوا بين جوهر التمدن ومظهره ووجه التفريق هنا هو ان التمدن هو الضد المنافي للسلوك المنحرف والتفكير المنحرف سواء كان عند الشرقيين او عند الاروبيين ( الشريف قراءة في خطابب عصر النهضة ص15)أي بمعنى هنا انهم قد لاحظوا سلبيات المجتمع الاروبي وحذروا منها.**

**اسباب النهضة عند الاروبيين:**

**ان ثمة فكرة كثيرا ماتتردد عند الدارسين وهي ان النهضة العربية بالرغم من انها قد استندت الى تاثير مجموعة عوامل إلا أن تأثير العامل الخارجي كان من ابرزها فهذا التأثير كما يظهر كان يسري في فضاء الدولة العثمانية خفية وعلانية فعلاقة هذه الدولة بالدول الاروبية وخاصة الفرنسية والانجليزية كانت علاقة سياسية واقتصادية ومن اثر هذه العلاقة كما تعرفت الدولة العثمانية على تقدمهما الاقتصادي تعرفت على تقدمهما السياسي ان مايذكر في هذا الصدد ان الدولة العثمانية قد خاضت مجموعة اصلاحات ومنحت امتيازات لاكثر من دولة اروبية واستفادت من قروض مالية وتغلغلت فيها الافكار اللبيرالية والقومية ( محمد الجندي مجلة الممعرفة ع414 النهضة والنهضوية،ن ص23) وفي اطار هذا الجو من الاحتكاك كان الاثر على المنطقة العربية التي كانت خاضعة لها لكن هذه المنطقة قد كان لها ايضا احتكاكها الذي حصل خاصة من طرف الفرنسيين وبالتحديد من طرف الحملة النابليونية التي عدت كما قيل حملة منبهة او حملة قد مارست فعل الصدمة (محمد عمارة الاستقلال الحضاري، ص61) وانطلاقا من ان الاحتكاك يؤدي الى اكتشاف النواقص بالمقارنة مع الاخر ويجلب الانتباه الى اسباب التقدم والتأخر فإن مايمكن تسجيله في موقف النهضويين العرب هو انهم قد اجمعوا ان البلاد الاروبية قد غدت في زمانهم بلادا متمدنة أما السبب في ذلك فقد ارجعوه الى عدة امور نعرض لها ههنا وهي:**

**ـ ان التمدن الاروبي هو من ثمرة عنايتهم بالعلم ويمكن هنا ان نسوق راي علي مبارك الذي يقول :**

**ــ ان التمدن الاروبي هو من ثمرة انتفاع الاروبين بما في البلدان الاخرى من علوم وفنون( خير الدين التونسي، اقوم المسالك، ص60)**

**ـ ان التمدن الاروبي قد قام ممنهجيا على حرية البحث والتفكير(الطهطاوي تخليص الابريز ـ ص 41)**

**ـ ان التمدن الاروبي قد قام على نسبية المعرفة ومحاولة تخطي الذوات وماوصل اليه اسلاف (تخليص الابريزـ ص85)**

**ـ ان التمدن الاروبي قد قام على الحرية ( خير الدين اقوم المسالك ، ص211)**

**وايا يكن فان عبد الله النديم قد اشار بشكل جامع الى اسباب التمدن الاروبي ولخصها بما لايكاد يختلف عن اتجاه الاعتقاد بها عموما وهي على النحو الاتي:**

**ـ توحيد اللغة في الدولة، توحيد السلطة، توحيد الجامعة الدينية، اقامة المعاهدات وتنظيم علاقات بعضها ببعض. وهذه كما يرى اسباب رئيسة ولكن الى جانبها هناك اسباب فرعية يذكرها وهي: اطلاق حرية الفكر والكتابة، تجميع رؤوس الاموال في شركات ومؤسسات وحمايتها من المنافسة الخارجية، تشيع التنافس والابتكار في ميدان علم التمدن المدني لتحسين الوضع المجتمعي. تعميم التعليم وتوحيه وفرضه. اقامة المجالس السياسية والتنظيمية لمنع الطغيان. اقامة المؤسسات لاهل الفكر والعلم( عبد الله النديم تح محمد عمارة ص95-97) ولعله يمكن ان نلاحظ ان ثمة وعي بان للتقدم اسبابه الموضوعية وسننه الطبيعية التي تحققه فلايكون هناك من تخلف الا التخلف عن هذه الاسباب وهو ماكان من اهمال الامة العربية والمسلمة.**

**اسباب تاخر العرب و المسلمين:**

**يتفق الرواد النهضويون على تخلف البلاد العربية والاسلامية وهم اذ يتفقون على ذلك يرجعونها الى اسباب متعددة اسباب سياسية تارة واسباب اخلاقية ودينية تارة اخرى وهذا طبعا على اختلاف في المرجعيات التي يستندون اليها ويمكن تحديدها في الاتي :**

**ـ فساد الحكم والاحوال السياسية (رفاعة الطهطاوي ، تخليص الابريز، ص) (خير الدين التونسي ، اقوم المسالك، ص) اوفساد السياسة على راي محمد عبده() والمثال في ذلك خضوع الحكم السياسي للارادة الشخصية وليس الى الشرائع كما يرى شبلي شميل ( ماجد فخري الحركات الفكريةص50) ومن الملاحظ ان هذا الفساد قد حدا الى الاعتقاد انه اصل للفساد الاجتماعي اللفردي والجماعي ( الكواكبي طبائع الاستبداد ،ص140)**

**ـ الدور الاروبي الخارجي ومايقوم عليه هذا الدور من وجود اطماع سياسية واقتصادية (ماجد فخري الحركات الفكرية، فرح انطون ص50)**

**ـ قلة العلم وثقل الوهم والعصبية والاسفاف في العلاقات الاجتماعية(ماجد فخري،الحركة الفكرية ، شبلي شمييل ص50 ،51) او كما قال فرح انطون وجود الجهل والفساد والانشقاق الداخلي(الحركات الفكرية49) او كما راى سليم البستاني وجود التعصب العرقي والديني (ماجد فخري ص38)**

**ـ طبيعة بلاد الشرق الجغرافية وطبيعة ثقافة الناس الادبية والاجتماعية( ماجد فخري، الحركات الفكرية، شبلي شميل ص50،51) التي جعلتهم مثلا في راي فاررس الشدياق يستخفون بالتجارة والصناعة ويتنكبون عن الاساليب الصحيحة في تعلم هذه الفنون ( ماجد فخري، ص39)**

**ـ افتقاد السعي الى التغيير (عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص93)**

**ـ انحراف الاساليب المتبعة في تربية النشء كما يرى الشدياق ( ماجد فخري الحركات الفكرية، ص40)**

**ـ تسرب الافكار الهدامة من دهرية وباطنية كما راى الافغاني ( ماجد فخري ، الحركات الفكرية ص41)**

**ـ اهمال دور المراة كما راى فرح انطون (ماجد فخري ،ن الحركات، ص49)**

**ـ الانحراف الديني وهذا يمثل له كما راى الكواكبي بتحييد الدين عن رسالته وتصدر رجال دين جاهلين ومتعصبين (عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد، ص53)**

**وعلى كل حال فانه مما تجدر الاشارة اليه ان شكيب ارسلان قد لخص اسباب هذا التخلف في هذه العناصر التي لايخرج عنها الموقف السابق وهي :الجهل وفساد الاخلاق والعلم الناقص والجبن والهلع والجمود والجحود وفقدان الثقة بالذات (شكيب ارسلان لماذا تقدموا وتاخرنا، ص43)**

**على انه ينبغي ملاحظة عدة امور ان هذه الاشارات لم تكن لتخطئ سلبيات المدنية الاروبية ولا لتتغافل عن ايجابيات العرب والمسلمين او في عبارة اخرى لم تكن لتتغافل عن ايجابيات مقومات هويتهم وخصوصياتهم الحضارية . ان الاتجاه المشهود في هذا انهم قد انتقدوا المدنية الاروبية واشادوا في الآن نفسه بتاريخهم وتراثهم ودينهم مع تفاوت طبعا في النظر وهذا على الأقل بالنسبة لاهم الاعلام ويمكن تقريب ذلك بالنسبة الى الموقف من المدنية الاروبية على النحو الآتي:**

**ـ الاشارة الى وضعية التردي في المادية والفساد الاخلاقي (فرح انطون الحركات الفكرية، ص49**

**ـ النظر الى النموذج الاروبي بعين النسبية وليس بعين الكمال. انطلاقا و كما يشير فارس الشدياق الى وجود المخبأ من اللامعقول والمنحرف أي بمعنى انه ليس كل الاروبيين متمدنين (فارس الشدياق كشف المخبا ص112ـ120)**

**ـ التحذير من التقليد الاعمى للأروبيين( سليم البستاني ماجد فخري، الحركات الفكرية ، ص37) (احمد فارس الشدياق كنز الرغائب، ص54)**

**ويمكن تقريب ذلك بالنسبة الى الموقف من الانا على النحو الآتي:**

**ــ الافتخار بالماضي العربي والاسلامي**

**ـ تمجيد الهوية العربية الاسلامية**

**ـ الاشادة بقيمة العقل العربي الاسلامي**